

ندوات تلفزيونية - قناة المستقبل - الدرس (٣-٤) : الداعية الناجح بدعوته
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٠-٠١-٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم وترحيب :

الأستاذ زياد :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أهلاً ومرحباً بكم مشاهدينا الكرام مع حلقة جديدة من آفاق إسلامية ، نسأل الله تعالى بداية أن يكون هذا اللقاء فيه النفع في الدين والدنيا والآخرة ، وأرحب بفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي معنا في حلقتنا في هذه الليلة المباركة من ليالي رمضان .

أهلاً ومرحباً بكم دكتور النابلسي .

يتجدد لقاتنا ، وكما وعدنا في اللقاء السابق أن نتحدث اليوم عن أساليب الدعوة ، بعد أن كنا تحدثنا عن مضامين الدعوة ، وضرورة تطوير خطابنا الديني في ظل ما نواجه من تحديات ، أساليب الدعوة ، الآن ننطلق من قول الله عز وجل :

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

(سورة النحل الآية : ١٢٥)

كلُّ يدعي أنه يدعو إلى سبيل الله بالحكمة ، بداية ما هي الحكمة ، ما هي الموعظة الحسنة ؟
والمجادلة بالتي هي أحسن ؟

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

مسائل مهمة في الدعوة إلى الله :

١ - الداعية قدوة لغيره :

أستاذ زياد ، جزاكم الله خيراً ، يمكن الحديث عن هذه الأساليب مدة طويلة ، ولكنني في هذه العجالة وجدت أن أبرز هذه الأساليب من دون استثناء أن يكون الداعية قدوة لمن يدعو .

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾

(سورة الأحزاب الآية : ٢١)

ما لم يكن الداعية قدوة فإن دعوته لم تؤثر إطلاقاً .
الحقيقة أن في تاريخ المسلمين صوراً مضيئة جداً لهذه النماذج الرائعة في الدعوة .
الأستاذ زياد :

أود هنا قبل إعطاء هذا المثل أن ألفت انتباه المشاهدين أن هذا الحديث ليس فقط للمهتمين
والدعاة، ولكن لكل إنسان ، للأب ، للمسلم ، المسلم يجب بحقه الدعوة :
((بلغوا عني ولو آية))

[أخرجه أحمد وصححه البخاري والترمذي عن ابن عمرو]

فلنعطِ المثل لكي ننشر الوعي بثقافة الإسلام .

سيدنا عمر الصحابي القدوة :

الدكتور راتب :

سيدنا عمر كان إذا أراد إنفاذ أمر جمع أهله وخاصته ، وقال : << إني قد أمرت الناس بكذا ،
ونهيتهم عن كذا ، والناس كالطير ، إن رأوكم وقعتم وقعوا ، وإيم الله ، لا أوتين بواحد وقع في ما
نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العقوبة لمكانته مني >> ، التعليق اللطيف : فصارت القرابة من
عمر مصيبة .

الأستاذ زياد :

قال لأهله ، ولذويه ، ولأولاده .

الدكتور راتب :

هو قدوة .

مرة رأى إبلاً سمينة ، قال : << لمن هذه الإبل ؟ قالوا : هي لابنك عبد الله ، قال : انتوني به ،
وغضب ، فلما جاءه عبد الله ، ورآه غاضباً ، قال له : ما فعلت يا أبت ؟ إبل اشتريتها بمالي ،
وبعتهت بها إلى المرعى لتسمن ، ماذا فعلت ؟ فقال سيدنا عمر : ويقول الناس : ارعوا هذه الإبل ،
فهي لابن أمير المؤمنين ، اسقوا هذه الإبل ، فهي لابن أمير المؤمنين ، وهكذا تسمن إبلك يا ابن
أمير المؤمنين ، بع هذه الإبل ، وخذ رأس مالك ، ورد الباقي لبيت مال المسلمين >> .

سيدنا عمر التقى بأحد الولاة ، فأراد أن يمتحنه ، قال له : << ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق
أو ناهب ؟ قال : أقطع يديه ، قال : إذا إني جاءني من رعيته من هو جائع أو عاطل فسأقطع
يدك ، إن الله قد استخلفنا عن خلقه لنسد جوعتهم ، ونستر عورتهم ، ونوفر لهم حرفتهم ، فإن وفينا
لهم ذلك تقاضيانهم شكرها ، إن هذه الأيدي خلقت لتعمل ، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمسست
في المعصية أعمالاً ، فاشغلها بالطاعة قبل تشغلك بالمعصية >> .

جاءه ملك الغساسنة جبلة بن الأيهم مسلماً ، ورحب به كثيراً ، وفي أثناء طوافه حول الكعبة بدوي
من فزارة داس طرف رداءه ، فالتفت هذا الملك لهذا الأعرابي ، هو ملك ، وذاك من سوقة الناس ،

ضربه ضربة هشمت أنفه ، فما كان من هذا العربي البدوي إلا أن توجه إلى عمر شاكياً ، سيدنا عمر استدعى جبلة ، أحد الشعراء المعاصرين صاغ هذا الحوار فقال :

أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح ؟

قال :

لست ممن يكتم شيا ، أنا أدبت الفتى ، أدركت حقي بيدي

قال له :

أرضِ الفتى ، لا بد من إرضائه ، ما زال ظفرك عالق بدمائه ، أو يهشمن الآن أنفك . ملك . وتنال ما فعلته كفك .

قال : كيف ذاك يا أمير ، هو سوقة وأنا عرش وتاج ، كيف ترضى أن يخز النجم أرضا . قال له : نزوات الجاهلية ، ورياح العنجهية قد دفناها ، أقمنا فوقها صرحاً جديداً ، وتساوى الناس وأحراراً لدينا وعبيدا .

فقال : كان وهما ما كان جرى في خلدي إني عندك أقوى وأعز ، أنا مرتد إذا أكرهتني .

قال : عنق المرتد بالسيف تحز ، عالم نبنيه ، كل صدع فيه بشبا السيف يداوى ، وأعز الناس بالبعد بالصلوك تساوى .

كان عصر مبادئ .

الأستاذ زياد :

ما أحوجنا إلى هذه المعاني في أيامنا الحالية ، وفي الزمن الذي نعيش .

الدكتور راتب :

كان مع أصحابه ، قال أحدهم : >> يا أمير المؤمنين ، والله ما رأينا أفضل منك بعد رسول الله ، فنظر إليهم بحدة كاد يقطعهم بها ، إلى أن قال أحدهم : لا والله ، لقد رأينا من هو خير منك ، قال : من هو ؟ قال : أبو بكر الصديق . دقق الأستاذ زياد . فقال : كذبتم جميعاً لأنكم سكتم حينما قال : ما رأينا خيراً منك بعد رسول الله ، كذبتم جميعاً وصدق ، والله كنت أضل من بعيري ، وكان أبو بكر أطيب من ريح المسك << .

مرة شعر بحاجة إلى أن يأكل اللحم ، خاطب بطنه فقال : >> قرقر أيها البطن أو لا تقرقر ، فو الله لن تأكل اللحم قبل أن يشبعه صبية المسلمين << .

مرة وضعوا له سنام الناقة ، وهو أطيب ما فيها ، فبكى ، وقال : بئس الخليفة أنا إذا أكلت أطيبها ، وأكل الناس كراديسها << .

الأستاذ زياد :

رضوان الله تعالى عن الفارق عمر ، والصحابة أجمعين .

فضيلة الشيخ ، إذا القدوة هي أول أساليب الدعوة وأعلىها كما ذكرتم ، فلنعدد الأساليب .
الدكتور راتب :

أنا التقيت مع أحد الدعاة الكبار في مصر ، توفي . رحمه الله . سألته : ماذا تنصح الدعاة ، توقعت أن يتكلم طويلاً ، قال : ليحرص الداعية ألا يراه المدعو على خلاف ما هو عليه .
الأستاذ زياد :

إذاً : القدوة دائماً ، الأب قدوة في منزله ، في بيته ، بين أولاده ، والأم قدوة ، وكلنا يجب أن يكون قدوة لمن غيره .
الدكتور راتب :

لذلك هناك أدعية ثلاثة يقشعر منها الجسم : اللهم إني أعوذ بك أن أقول قولاً فيه رضاك ألتمس به أحداً سواك ، اللهم إني أعوذ بك أن يكون أحد أسعد بما علمتني مني ، اللهم إني أعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك .
إذاً : القدوة قبل الدعوة .

٢ - الإحسان قبل البيان :

الآن : الإحسان قبل البيان .
" يا داود ، ذكر عبادي بإحساني إليهم ، فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها " .
الإنسان يحب الجمال والكمال والنوال ، فإذا أنلته من فضلك ، أعنته ، تلطفت به تأثر ، فأخلاق الداعية أكبر مؤثر في المدعو ، وما لم يكن الإنسان صادقاً ، أميناً ، رحيماً متواضعاً لا ينجح .
حينما فتح النبي عليه الصلاة والسلام مكة المكرمة ، دخل مكة مطأطئاً رأسه ، حتى كادت نؤابة عمامته تلامس عنق بعيه .
إذاً : ينبغي أن نكون قدوة قبل كل شيء ، وأن نحسن كي نفتح القلوب بالإحسان قبل أن نفتح العقول بالبيان .

٣ - الأصول قبل الفروع :

ينبغي أن نبدأ بالأصول ونثني بالفروع .
الأستاذ زياد :
البعض يخلط في الأولويات ، يحاول أن يضع فروعاً يجعلها أولوية في دعوته إلى سبيل الله ، الآن علينا أن نرتب أولوياتنا ، وما أحوجنا إلى هذا .

٤ - مخاطبة العقل والقلب معاً :

الدكتور راتب :
ينبغي أن نخاطب العقل والقلب معاً ، الله عز وجل خاطب العقل والقلب معاً قال :

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾

(سورة الانفطار)

يخاطب قلبه :

﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾

(سورة الانفطار)

يخاطب عقله ، يجب أن نخاطب العقل والقلب معاً ، يجب أن نبدأ بالأصول وننتهي بالفروع .

٥ - التربية لا التعنيف :

يجب أن نربي لا أن نعري ، ليس القصد أن أعنفه ، القصد أن آخذ بيده يجب أن نهتم بالمضامين لا العناوين ، المضامين قبل العناوين .

٦ - المبادئ لا الأشخاص :

يجب أن نهتم بالمبادئ قبل الأشخاص ، يجب أن نجعل الدين مبسطاً كالهواء نستنشقه لا أن نعطله على الناس ، وهو بسيط .

أعرابي جاء النبي الكريم ، قال له : يا رسول الله عطني ولا تطل ، قال له تلا عليه قوله تعالى :

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

(سورة الزلزلة)

قال له : كفيت ، فقال عليه الصلاة والسلام : فقه الرجل ، أي أصبح فقيهاً .

هناك لقطات رائعة جداً في حياة الصحابة الكرام .

دخل على النبي رجل فقير ، فقال :

((رب أشعث مدفوع الأبواب ، لو أقسم على الله لأبره))

[رواه أحمد في مسنده وصحيح مسلم عن أبي هريرة]

سيدنا عمر التقى براح ، قال له : بعني هذه الشاة ، وخذ ثمنها ، قال : ليست لي ، قال : قل لصاحبها : ماتت ، قال : ليست لي ، قال : خذ ثمنها ، فقال هذا الراعي : والله إنني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها ، ولو قلت لصاحبها : ماتت أو أكلها الذئب لصدقتني ، فإني عنده صادق أمين ، ولكن أين الله ؟ .

أستاذ زياد ، هذا الأعرابي ، هذا الراعي البسيط شيء دقيق جداً ، وضع يده على جوهر الدين ، حينما تقول : أين الله .

لذلك يمكن أن نتكلم ساعتين متتابعتين بأفصح لغة ، وبأصح دليل ، وبأعمق تحليل ، وأنت لا تعرف الله ، تعرفه إذا خفت منه ، نعرفه إذا رجوته ، نعرفه إذا اتقيت أن تؤذي عباده ، نعرفه إذا

أيقنت أنك في قبضته ، تعرفه إذا أيقنت أنه يعلم أنه سيحاسب ، وسيعاقب ، معرفة الله شيء ، وأن يتخلق الإنسان بأفكار دينية شيء آخر .
لذلك قضية المسلمين تحتاج إلى مصداقية .

مرة إمام بجامع بلندن نُقل إلى ظاهر لندن ، فاضطر إلى أن يركب مركبة كل يوم ، صعد المركبة مرة ، أعطى السائق ورقة نقدية كبيرة ، رد له السائق التتمة ، عدها فإذا هي تزيد عشرين بنسا عما يستحق ، هو إمام مسجد ، قال : ينبغي أن أرد الزيادة إلى السائق ، وجلس ، جاءه خاطر أنه الشركة عملاقة ، ودخلها فلكي ، والمبلغ يسير ، وأنا في أمس الحاجة إليه ، ولا علي أن آخذه ، لكنه لما أراد أن ينزل دون أن يشعر مد يده إلى جيبه ، وأخرج العشرين بنسا ، ودفعها للسائق ، فتبسم السائق ، قال له : ألسنت إمام هذا المسجد ؟ قال : بلى ، قال : والله قبل يومين حدثت نفسي أن أزورك لأتعبد الله عندك ، ولكنني أردت أن أمتحنك ، فإذا بهذا الإمام يقع مغشياً عليه ، لأنه تصور عظم الجريمة التي كاد يقترفها لو أبقى هذا المبلغ في جيبه ، فلما صحا من غفوته قال : يا رب ، كدت أبيع الإسلام بعشرين بنساً .
الأستاذ زياد :

خاتمة وتوديع :

نسأل الله تعالى معرفة في دينه ، وفقهاً في هذا الدين الحنيف ، وفي شريعته السمحة وثقافته النافعة في الدين ، والدنيا ، والآخرة .
أشكركم فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي ، أسأل الله أن يعيد عليكم رمضان أعواماً بعد أعوام ، وأن يبارك لكم في جهودكم الدعوية التي تبغي وجه الله تعالى ، أشكركم ، وأشكر الإخوة المشاهدين لحسن المتابعة ، إلى اللقاء في الغد بإذن الله تعالى مع آفاق إسلامية ، لكم التحية .
والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

والحمد لله رب العالمين